الحسناء

الجزء الثاني المجلد الثاني

بيروت شهر آب سنة ١٩١٠

ست الملك

اميرةٌ نشأت في عصر كان فيه مقام المراة منحطاً كثيراً . فجعلت لنفسها منزلةً رفيعةً فوق ما كان لها من رفعة النسب : ونالت من النفوذ في الدولة الفاطمية على عهد شقيقها الحاكم بامر الله ما قلما نالته شقيقة خليفة . واستأثرت بالسلطة سنوات ادارت فيها شؤون الخلافة بالعدل والانصاف . وناصرت جهدها بنات جنسها . وكان لها يدٌ طولى وتأثير عظيم فى سبيل مذهب اخيها (مذهب الدروز) وكانت من احسن نساء زمانها جمالاً واوفرهن عقلاً واعلاهن رأياً واشدهن عزماً واثبتهن جناناً

وقد اكثرت الجرائد والمجلات من ذكر هذه الاميرة بمناسبة حوادث حوران الاخيرة . وذلك في جملة ما كتبته عن اصل الدروز وعقائدهم . فرأينا ان نفسح لها مجال الشهيرات في الحسناء ونوافي قارئاتنا بما نعلمه عنها

فهي ست الملك شقيقة الحاكم بامر الله ابي علي المنصور الخليفة الفاطمي ابنة العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله ابي تميم معد بن المنصور لنصر الله ابي الظاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن عبيد الله الفاطمي العلوي المعروف بالمهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر

ولدت في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة في مصر ونشأت منشأ الاميرات في عصرها ولكنها امتازت عليهن بتجاوزها الحدّ النسائي من حيث المداخلات العمومية والاهتمام بشؤون الامة . وما برحت تتداخل في كل شيء بدهاء وحكمة حتى تسلطت على افكار اخيها وشاركته في الملك فعلًا بل قادته فيه اقتيادًا الى ان صار اطوع اليها من بنانها ولم يعد يبت امرًا الا برأيها والا ثار عليه الشعب

وكان اخوها من اغرب الناس في اعماله ومن اكثرهم تناقضًا فيها وكانت اخلاقه واحكامه وسيرته من المدهشات فيجب سفك الدماء ولو كان القتلى ابرياء ويخترع احكامًا لا قبل للناس بها ويجبرهم على القيام بموجبها كما ورد في دائرة المعارف ومع ذلك كان يهب المال بسخاء ويجود على العلم والعلماء وقد فتح دار الحكمة في القاهرة وترك مآثر فاخرة وحسبه المذهب الذي ابتدعه وتبعه فيه الدروز . ومن غرائبه انه منع الرعية من اكل الملوخية لانها كانت طعام معاوية بن ابي سفيان ومن اكل الجرجير لانها منسوبة لعائشة بنت الرسول . ومنع النساء من الاجتماع في المآتم ومن كشف وجوههن في الطرق (ولا يخفى ما في هذا المنع من الدلالة الصريحة على ان الحجاب لم يكن عموميًا وقتئذٍ في الشرق) . وتطرّف ايضًا فمنعهن حتى من المشي في الازقة ومن لبس الخفاف بارجلهن ومن الاغتسال في الحمامات واغلق حماماتهن وعطل حوانيت الاسكافة . ولما اشتكت له من هذه الاوامر الارامل والعوانس اللواتي لا رجال لهن امر الباعة بان ياخذوا ما تريد النساء ابتياعه في مقفرة لها ساعد طويل من خلف الباب بدون ان يفتح فان اعجبها وضعت ثمنه مكانه واخذته . الى غير ذلك من الامور التي كانت تدل على غرابة اطواره بحيث صحّ فيه قول بعضهم ان افعاله لا تعلل واحلام وساوسه

لا تؤول

فكانت ست الملك تلطف من اخلاق اخيها وتخفف من احكامه وتحسن في سيرته ولولاها لما استتب له ان يوجد مذهباً ويكون من الخالدين وما زالت تتغلب عليه شيئاً فشيئاً حتى بلغت منه ما ذكرناه آنفاً وانما بعد الجهاد المستمر والتعب الجزيل ولكنه ما رضخ لها كل الرضوخ حتى سئم من استشاره لارائها واستكف من استشارها بارائه فهم بقتلها والتخلص منها فسبقته الى قتله وفازت عليه. ولعلها قتلته لتخليص الناس من مظالمه اولاثبات دعوته كما يقال لا رغبة في اتقائها شره فقط . والرأيان الثاني والثالث مرجحان عند البعض على الاول والاخير ارجح من الاثنين

عند ذلك اجتمع الناس الى ست الملك فاقامت علي ابن اخيها خليفة مكان ابيه فبايعوا له واقاموها وصية عليه لانه كان قاصراً لم يبلغ بعد سن الرشد . وبقيت اربع سنوات تتولى امور الدولة عادلة منصفة وتؤيد مذهب اخيها وتنسي الناس مظالمه الى ان جاءها الاجل المحتوم فتوفيت سنة ٤١٥ هجرية غائمة من قلوب الامة محبتها واحترامها . فحزنت عليها الرعية حزناً شديداً وبكتها دماً

التمريض والممرضات

صار لفن التمريض شأن عظيم في العالم وامست الممرضات ضروريات للمرضى كالاطباء وقد رأى الناس حسن النتائج من هذا الفن فاقبلوا عليه واتقنوه وعززوا متقناته وكرموهن ولزيادة اتقانه قد انشأوا له الصفوف الخاصة في المدارس العالية في بلاد الافرنج واهتموا به اهتماماً عظيماً . ونحن في بلادنا ما عدمنا مدرسة تعلم اصوله وتمرن عليه . وهي المدرسة الكلية السورية الانجيلية ذات